جلايلية صبيحة

قضية التأويل بين القديم والجديد

-1مفهوم التأويل :أوال: مفهوم التأويل لغة :ّ◌َولَه: ف ّسره. وقوله ◌َ ّ◌َولَه وتَأ ◌َ ّ◌َولَه: دَّبره وقدّره، وأ ◌َ ّ◌َو َل الكالم وتَأ ◌َ ورد في لسان العرب "أ ُهُ ع ّزوج ّل:(ويل ُمراد بالتأويل نقل ْ ول ّما يأتِهم تَأ)، أي لم يكن معهم علم تأويله، وال ِرك ظاهر اللفظ، ظاهر اللفظ عن وضعه االصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لواله ما تُ و ُسئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن التأويل فقال: التأويل والمعنى والتفسير واحد ".ثانيا: معنى التأويل في القرآن الكريم :وردت لفظة "تأويل" في سبع آيات قرآنية، ووردت لفظة "تأويال" مرتين في القرآن الكريم، ولفظة "تأويله" ثمان مرات .مك من تأويل االحاديث)سورة يوسف:6 .ّ -1قال تعالى:(ويُعل ◌َمه من تأوي ِل االحادي ِث)سورة يوسف: 21 .ّ -2قال تعالى:(ولنُعِل -3قال تعالى:(وما نح ُن بتأويل االحالم بعالمي َن)سورة يوسف: 44-4 .قال تعالى:(وقال يا أَبت هذا تأويل ُرؤياي من قب ُل)سورة يوسف: 100- 5 .ويل االحادي ِث)سورة ْ متَني من تَأ ◌َ ّ ُمل ِك وعل قال تعالى:(ر ِّب قد آتَيتَني من ال يوسف: 101 ◌َك بتأوي ِل ما لم تست ِطع علي ِئ - 6نَبّ ُ قال تعالى:(سأ ِه صبرا)الكهف: 78- 7 .ويل ما لم تَس ِطع عليه صبرا ْ قال تعالى:(ذلك تأ)الكهف: 82-8 .قال تعالى:(ذلك خي ٌر وأحس ُن تأويالً)النساء: 59 .◌َو ِزنُوا بالِقسطا ِس المستقيم ذل َك خي ٌر وأحس ُن تأويالً)االسراء: 35-9 . قال تعالى:(◌َء تأويل ِه)آل عمران:اآلية -10قال تعالى:(فيتَّبعون ما تشابه منهُ ابتغاء الِفتن ِة وابتغا 7.ُم تأويلَهُ إال هللا)آل عمران:7-11 .قال تعالى:(وما يعلَ مادة: النقد االدبي القديم 2 السنة االولى ليسانس لغة وأدب عربي د/ سمية الهادي 2تأويله)االعراف:52-12 .قال تعالى:(هل ينظرون إالّ ُه يقو ُل الذين َن ُسوه من قب ُل)االعراف: 52-13 .قال تعالى:(يوم يأتي تأويل ُهُ)يونس: 39 .ِهم تأويل -14قال تعالى:(ول ّما يأت ُمحسني َن)يوسف: 36 .ِئنا بتأويله إنّاَ نرا َك من ال -15قال تعالى:(نبّ ُكما)يوسف: 37 . نبّأتُ ُكما بتأوي ِله قب َل أن يأتيَ -16قال تعالى:(إالّ ّ◌ِئُ ُكم بتَأوي ِل ِه فأر ِسلو ِن)يوسف: 45 . ِ -17 قال تعالى:(أنا أنب وتعدّدت معاني التأويل في هذه آاليات، من ذلك قول ابن كثير مفسرا قوله تعالى : (◌َء تأوي ِل ِه ُم تأويلَهُ إال هللا) فقد ذكر عن عن وابتغا) أي تحريفه، أما قوله:(وما يعلَ ابن عباس- رضي هللا عنه- أنه قال: التفسير على أربعة أنواع: تفسير ال يقدر أحد فهمه، وتفسير تعرف تاعرب فهمه، وتفسير تعرفه العرب من لغاتها وتفسير يعلمه الراسخون في العلم وتفسير ال يعلمه إال هللا . ومعنى قوله تعالى:(ذل َك خي ٌر وأحس ُن تأويالً)أي أحسن عاقبة .وأما قوله:(يوم يأتي تأويل)فإن معناه يوم يجئ ما يؤول إليه أمرهم من عقاب هللا. ُه ◌َمه من تأوي ِل االحادي ِث)تعليم يوسف من عبارة الرؤيا .ّ ومعنى قوله تعالى:(ولنُعِل ّ◌ِئُ ُكم بتَأوي ِل ِه فأر ِسلو ِن)أي بتأويل هذا المنام .ِ وقوله:(أنا أنب من هنا يتبيّن أن التأويل كما ورد في القرآن هو علم إلهي، وال دخل للبشر فيه، وجاءت لفظة التأويل بمعنى تفسير الرؤى، أو اإلخبار عن غيب في الدنيا، أو يوم القيامة...إلخ ثالثا: التأويل في االصطالح :وردت العديد من التعاريف لدى العلماء لمعنى التأويل منها ما ذهب إليه الغزالي (ت505هـ(بأن التأويل "عبارة عن احتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر ويشبه أن يكون كل تأويل صرفا للفظ عن الحقيقة إلى المجاز ".ويعّرفه ابن رشد)ت595هـ(بقوله:" التأويل إخراج داللة اللفظ من الداللة الحقيقية إلى الداللة المجازية من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشبيهه أو بسببه أو الحقه أو مقارنه أو غير ذلك من االشياء التي عددت في تعريف أصناف الكالم المجازي "مادة: النقد االدبي القديم 2 السنة االولى ليسانس لغة وأدب عربي د/

سمية الهادي 3ويعّرفه الشريف الجرجاني في كتابه" التعريفات": " صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا بالكتاب والسنة مثل قوله تعالى:(يُخرُج الحَّي من الميِّت)يونس: 31 إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيرا. وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان تأويال-2 ."

شواهد من التأويل في النقد ألدبي القديم :ُعِرف التأويل عند العلماء المسلمين المشتغلين بفهم القرآن الكريم، كأداة فعالة لتبيين أحكامه، وتفسير معانيه، ولم يتوق ألمر عند النص الديني، بل انتقل ّف ّق بالنصوص الشعرية؛ ذلك اعتماد التأويل إلى حقل ألدب والنقد، خصوصا ما تعل أ ّن التأويل يساعد على كشف خبايا بعض ما استغلق من المعاني، ومن صور التأويل في النقد القديم-1-2 :التأويل عند القاضي الجرجاني :يبيّن الجرجاني في كتابه "الوساطة بين المتنبي وخصومه" أ ّن التأويل يسمح بتعدّد احتماالت المعاني للنص الواحد، ففي تعليقه على قول المتنبّي :ِجُدُودي ما بقَومي َش ُرف ُت بل َش ُرفُوا بي وبنفسي فَ َخر ُت ال ب يقول القاضي الجرجاني" فختم القول بأنه ال شرف له بآبائه، وهذا هجو صريح، وقد رأيت من يعتذر به، فيزعم أنه أراد: ما شرفت فقط بآبائي، أي لي مفاخر غير ّي مناقب سوى الحسب، وباب التأويل واسع، والمقاصد مغيّبة، وإنما ألبوة، وف يُستشهد بالظاهر، ويتبع موقع اللفظ ".فالتأويل واسع عند الجرجاني، والمعاني تكون ظاهرة أحيانا، وبعيدة مخفية وراء أللفاظ في أحيان أخرى، ويرى بأ ّن هناك من " أراد أن يلتمس ألعذار للشاعر ّول شطر البيت ألول تأويال خاطئا فيما أخطأ فيه، فأشار ناقدنا إلى أ ّن هناك من أ ًء على النية والمقصد، مدّعيا أ ّن المتنبي أراد أن يشير إلى أن له مفاخر أخرى بنا غير مفاخر ألبوة، في حين يرى هو أن المقصود هنا هو ذاك الذي ظهر من خالل اللفظ-2-2 ".التأويل عند عبد القاهر الجرجاني :يص ّرح عبد القاهر الجرجاني في أكثر من موضع في كتابيه" أسرار البالغة " "دالئل إلعجاز" بضرورة إعمال الفكر، والتدبّر في المعاني لبلوغ ما خفي و ومن المركوز في الطبع أ ّن منها، ويبيّن أن لذلك العناء حالوة الوصول إلى الغاية، "

4الشيء إذا ني َل بعد الطلب له أو االشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى وبالمزية أولى، فكان موقعه من النفس أجل وألطف ."وفي موضع آخر من كتابه " أسرار البالغة" يتحدث الجرجاني عن فائدة االستعارة وقيمتها الجمالية، في إشارة إلى تعدد االحتماالت والتأويل، فهي" تعطيك الكثير من المعاني رر، وتجني من الغصن الواحد ّ ُ باليسير من اللفظ، حتى تُخرج من الصدفة الواحدة عدّة من الد أنواعا من الثمر ".ومن هنا تبرز فائدة التأويل كآلية تسمح بالغوص في أعماق النصوص الستجالء ما ّم ال يمكن الوقوف في إيجاز االستعارة عند حدود اللفظ بل يجب ومن ث وراء االستعارة " التأويل والغوص في باطن الكالم للوصول إلى تلك المعاني الكثيرة-3 ".التأويل في النقد الجديد :أدرك النقاد العرب في العصر الحديث أمثال طه حسين، ومحمد زكي العشماوي، وجابر عصفور، وغيرهم مّمن اهتموا بدراسة التراث النقدي، أن النقاد القدامى اعتمدوا على التأويل بوصفه آلية تسمح بالكشف عن مختلف المعاني التي يمكن أن تختفي وراء التراكيب اللغوية المتضمنة الحتماالت عديدة .وقد توقفت بعض الدراسات الحديثة عند فاعلية التأويل في النقد القديم، ومدى امتالك نقادنا القدامى لآلليات التي تسمح باستخدامٍ أنجح له. من ذلك كتاب" إشكاليات القراءة وآليات التأويل" لنصر حامد أبو زيد .وبالرغم من أن التأويل كان ألداة إلجرائية ألبرز في شروح وتحاليل النقاد للنصوص ألدبية، والشعرية منها على وجه الخصوص إال أن هذا ال ينفي وفق ما ذهب إليه نصر حامد أبوزيد " وعي القدماء أن تفسيراتهم-أو تأويالتهم وعللهم-مجرد اجتهادات قد تقارب الحقيقة أحيانا، وقد تبتعد عنها أحيانا أخرى. وفي هذا التصور إدراك للمسافة المعرفية التي تفصل بين الدارس وبين موضوعه...فالحقيقة عند القدماء غاية بعيدة يدرك كل إنسان طرفا منها وال يدركها في شمولها أو يحيط بها كلها. وال شك أن مثل هذا

التصور عند القدماء-في مجال اللغة-يتجاوب بعمق مع التصور العام للثقافة العربية اإلسالمية، خاصة في مجال تأويل النصوص الدينية".